

المقدمة

مرحباً بكم في الجلسة الأخيرة لهذا الأسبوع من «عيون على غزة». أسبوع آخر واصلت فيه الأخبار المرؤعة في الوصول— تقارير عن المجاعة، القتل الجماعي، والعنف في الضفة الغربية وغزة. من الصعب إلا نيسأس أمام مثل هذه المشاهد، أمام مثل هذه الواقعه. ومع ذلك، فإن هدف هذه اللقاءات هو أيضاً الحفاظ على إمكانية الفعل حتى عندما يكون الأساس مفهوماً، وخلق مساحة للتفكير معًا في مجالات محتملة للعمل والمقاومة. جلسة اليوم مخصصة تحدياً لهذا. ضيفتنا هي سابير سلوزر- عمران، محامية وناشطة في مجال حقوق الإنسان قادت العديد من النضالات الاجتماعية والعلمية. ستتحدث عن جيوب مقاومة لواقع القمع والمجزرة. شكرًا جزيلاً لك سابير.

المحاضرة

مرحبا! سرت بلقائكم، وأنا سعيدة بالانضمام، حتى لو كنت أفضل أن يكون ذلك في ظروف أسعد. لدينا وقت محدود، لذا فكرت أن أدخل مباشرةً. عندما سُلّلت عما أريد أن أتحدث، أدركت أننا جميعاً نتمكن إلى حد ما من الوصول إلى الكثير من المعلومات، ربما حتى «الكثير جداً» من المعلومات، عما يحدث في غزة. ما يبدو مفهوماً هو الفهم أو التوجيه العملي للتخطيط والانخراط في أفعال أكثر فعالية قليلاً. أو، بعبارة أخرى: أشياء كثيرة تحدث على الأرض، لكن يمكن أن يكون هناك شعور أسمعه كثيراً من ناشطين، قدامي وجدد لم يعودوا قادرين على تحمل ما يرونـهـ شعور باللاجدوى. «ما الفائدة؟ ما الفائدة من التنظيم؟ من مؤتمر، محاضرة، مظاهرة، عمل مباشر؟» ومن هنا أريد أن أجدها: أريد أن أتحدث عن ما أعتقد أنه يساعد فعلياً، ما هو فعل، وأن أقدم لمحنة قصيرة عن رؤيتي للعالم فيما يخص النشاط السياسي والاجتماعي.

عنونت هذه المحاضرة «جيوب مقاومة» لأنني أرى أفعالنا الحالية كفرص لخلق جيوب صغيرة من المقاومة النفعية، أو لإنقاذ الأشخاص، أو لإحداث ضوضاء. قدرتنا على المقاومة اليوم مرتبطة بكيفية إدراكنا للواقع السياسي وبكيفية مقاومتنا له بفعالية. هل أعتقد أننا يمكن أن نوقف ما يحدث في غزة بالطريقة التي ترغب بها؟ على الأرجح لا. لكن واقعيين. لكنني أعتقد أننا يمكن أن نتحدى أنفسنا باستمرار في الأفعال التي نتخذها، وأن نتحدى الآخرين، بما في ذلك الجمهور اليهودي الإسرائيلي الأوسع الذي قد لا يسمع ما نسمعه أو يتعرض له. بالنظر إلى الواقع السياسي، هناك أمور تمنعنا من الانخراط في ما أراه نشاطاً أكثر معنى وتأثيراً. هناك شعور بالانحدار الحتمي، بالخزي، بمدى الانحطاط الممكن أن يصل إليه. أفهم ذلك على المستوى الشخصي، لكن سياسياً من الضروري أن نستوعب أنه لا يوجد «قاع» ستصل إليه حيث تتوقف الأمور. نحن نواجه أناساً، فاعلين، لا يمكنون خزياناً. قد نشعر بالخزي زياجاً عنهم، عن المجتمع، عن اليهودية، عن الهوية الإسرائيلية، أو عن الصهيونية —أنا شخصياً تجاوزت ذلك منذ زمن طويول— لكن النقطة هي أن الذين نواجههم يدفعون إلى الأسفل بلا كبح. منظمات مسيانية يمينية، جماعات عنصرية، حكومة تكرس التفوق اليهودي —هؤلاء بلا خزي. إذا بدأنا من هذا الفرض، فليكننا أن ننظم أنفسنا لخلق جيوب مقاومة فعالة، لا أن نكرر أفالاً من 10 أو 20 سنة مضت أو من حروب سابقة. هذه لم تعد حرباً بالمعنى التقليدي. لا يمكننا أن نعمل، أو نرد، أو نتحدى بالطريقة ذاتها.

تحليل الواقع هو المفتاح لتنظيم أنفسنا بشكل مناسب. إذا قبّلنا الواقع كما أراد، فإننا ننتقل من «نضال» إلى «مقاومة»—أسلوب حياة، حاضر في كل ما نفعله. أرى هذا كونه مقاومة فعالة. بل له بعد تيشيري قليل: يواجه، لكنه يسعى باستمرار إلى إشراك الجمهور، والزملاء، والأصدقاء، والعائلة. أسميهها «جيوب مقاومة» لأن كل مرة نخلق فيها واحداً، نفتح مساحة صغيرة للتلسل، للتعطيل، للاستفزاز، ولزرع بذور تفكير نقي، نرعاها لاحقاً لتشجيع مزيد من الناس على الانضمام، خاصة أولئك غير المكشوفين أصلاً. غالباً يعني هذا العمل في الفضاءات العامة بدلاً من الانعزال في الفضاءات الافتراضية أو المجموعات الصغيرة. بعض الأمثلة العملية: منذ أوائل مايو، ننظم أنفسنا كمجموعة مدنية مستقلة، نلتقي أسبوعياً أمام قواعد سلاح الجو بصور أطفال قتلوا في غزة، دعوات صريحة للرفض، منشورات، وشروحات عن سبب الحاجة إلى العصياني. هذه الأفعال تواجه الطيارين وعائلاتهم مباشرة. إنها بلا شك غير مريحة. هم لا يحبون بوجون بالضرورة، لكن لا يمكنهم أن يبقوا غير مبالين. يُجبرون على مواجهة الصور، يُجبرون على النقاش—حتى لو كان عادياً، مهيناً، أو تشهيراً. هذه النقاشات تحدث، سواءً وصفنا بالخونة أم لا—المشهد يصبح مرئياً.

يجب أن أضيف ملاحظة: الوقوف مع هذه الصور لا يمكن أن يكون فعل جلد للذات، أو وقفة خزي بينما يسبنا المازة. إنها وقفة مسؤولية. إنها مسؤوليتنا الجماعية—كعائالت، وأصدقاء، وزملاء، وداعفي ضرائب—وعلينا أن نقاوم وفقاً لذلك. مثل آخر هو الطريق التي ننظم بها أنفسنا لمنع منع شاحنات المساعدات، التي شاركت فيها قبل عام. المستوطنون يمنعون مرور المساعدات تقريراً كل عدة أيام الآن، مانعين نقل الإمدادات. هذه مساحات يجب أن تكون حاضرين فيها، بأفعال مواجهة لأنه لا خيار سوى البقاء.

أرى هذا كفعل ما نستطيع، ما نشعر أنه فعل. إذا كان الحديث مع زوج قريب على عشاء الجمعة فعّالاً، فسأفعله بحذر ولكن عمداً. التحدى هو أن نعمل، أن نتحدى الوضع القائم. إذا كانت عشر مجموعات تقوم بالفعل نفسه، لا يهمني تكراره. أريد أن أجد مشاهد مهمّلة: الإعلام، الصحفيين الذين لم يتوجه إليهم، حتى إرسال رسائل إلى المحررين لتعطيل التواطؤ. وأخيراً، يجب أن تفتح الأفعال باستمرار مشاهد جديدة، جبهات جديدة، أن تظهر في أحداث جماهيرية، مهرجانات، وحفلات. بهذا المعنى، علينا أن نتصرف ك«مفسيدي الحفلات». رغم أنه ليس ممتعًا، فهذا يعني -مفهوميًّا- أننا يجب أن نتصرف مثل «النسوية مُعكّرة الصفو» كما وصفتها سارة أحمد: حاضرinnen دائمًا في المساحات لنصر على ما يحاول المجتمع نسيانه، حتى يصبح النسيان الجماعي مستحيلاً.